

رسائل ومقالات

(١)

لمحات من منطلقات

الاعتقاد الصالح

وأبعاده وكيفية نموه...

محمد علي باقري

رسائل ومقالات

في المعرفة الدينية والاعتقاد

محمد علي باقرى

الطبعة الثانية

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

للتواصل:

E-mail: muddakerat@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله
الطيبين الطاهرين

أما بعد فإني كنت قد وجدت في الرد على رسالة لمست
فيها العفوية والصدق رغم بساطتها الفرصة للإشارة إلى بعض
ما أعرفه بشأن منطلقات الاعتقاد الديني ومنافذه وأبعاده
وآثاره... فعلقت عليها ونشرت التعليقة على جدار المسجد
مع نص الرسالة المعلق عليها، إذ رأيت أن ذلك يجعل التعليقة
أكثر واقعية من جهة ويكسر رهبة الكتابة في نفوس رواد المسجد
من جهة أخرى

واستلمت بعد ذلك رسالة من نفس الشخص فرأيت أن أستفيد
منها أيضاً لتوضيح بعض ما أردت توضيحه لرواد المسجد، فعلقت
عليها ونشرتها كذلك..

ثم ظهر أن قراءة ما نُشر هناك متعبة بل غير ميسورة لبعض
المؤمنين، فاستُحسن نشره في كُرَّاس، وكان عليّ أن أراجع وأصلح
ما فيه بتوضيح ما أبهم، وتغيير بعض الأمثلة... إلخ، ولكني لم أتهياً
لذلك، فها هو ينشر كما كان من دون تعديل يُذكر...

كما وأنني قد ضمنت إلى الجوابين المنشورين جوابين آخرين
كتبتهما على رسالتين آخرين وصلتاني بعدئذ بنفس الصدد...

× × × × × × × × × ×

هذا وبما أن هذا الكُرَّاس إنما يتناول ما يرجع إلى أصول المعرفة
والاعتقاد فلا استفادة منه لا تتم إلا بالتعقل الذي يتطلب الاهتمام
والدقة، لا فقط لما هو معروف من عدم جواز التقليد في العقائد
الدينية كما أشار إليه - مثلاً - السيد محمد باقر الصدر رضوان
الله عليه في مقدمة (الفتاوى الواضحة) بقوله:

«... ودَعَت الشريعة كل إنسان إلى أن يتحمل بنفسه مسؤولية
عقائده الدينية الأساسية بدلا من أن يقلد فيها ويحمل غيره
مسؤوليتها. وقد عَنَّف القرآن الكريم بأشكال مختلفة أولئك
الذين يبنون عقائدهم الدينية ومواقفهم الأساسية من الدين قبولاً
ورفضاً على التقليد للآخرين بدافع الحرص على طريقة الآباء
مثلاً والتعصب لهم، أو بدافع الكسل عن البحث والهروب عن
تحمل المسؤولية»

أعود فأقول: ليس تعقل ما في هذا الكُرَّاس ضرورياً لهذا
فقط، بل - وقبل ذلك - بما أنه إنما يحاول وصف العقيدة الدينية
باعتبارها حركة طبيعية تجري في النفس البشرية وفق نظام قابل

للمرصد والتعقل بإجماله... فإن فهمه لا يمكن أن يتم للشخص إلا
 بالتعقل المبني على أساس من ملاحظة شخصية لنفسه...

× × × × × × × × × ×

ومن نافلة القول أن هذا الكرّاس ليس محاولة لتجهيز
 المعرفة تجهيزاً تاماً ومن ثمّ نقلها إلى ذهن القارئ، فإن ذلك
 مما لا يرتضيه الكاتب في المسائل العقائدية بشرح سيجد
 القارئ ما يشير إليه طيّ الكرّاس...، فالثغرات الكثيرة المنتشرة
 في الكرّاس مقصودة بإجمالها، وإن كان لضعف الكاتب وضيق
 المجال وعوامل أخرى أيضاً تأثير على ذلك...

وعلى أي حال فإنني أرجو أن يجعل الله في هذا نفعاً، وما
 ذلك عليه بعزیز...

والحمد لله ربّ العالمين

محمد علي باقري

٢٠ / جمادى الثانية / ١٤١٧

الرسالة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

..... يوم الثلاثاء صباحاً ٢٩ صفر ١٤١٧

السلام عليكم ورحمته وبركاته

بالنسبة للتساؤل الذي طرحتموه: لِمَ لم يتّخذ الرسول (ص) إجراءات معيّنة لتفادي ما حصل وليتمّ الأمر (لأمير المؤمنين - ع -) وفق ما شرّعه الله؟

إذا سمحت لي بأن أكتب ما جاء في ذهني بالنسبة لهذا التساؤل والرجاء تصحيح الخطأ عندي وهل أنا على صواب من تفكيري هذا أم لا وعموماً أنا مؤمن به لكن معرفتي بالدين قليلة فلذا أشكّ بنفسي.

إن ما حدث بعد وفاة الرسول (ص) فيه حكمة إلهية بأن يُترك الناس ليأخذ كل منهم طريقه بوجود ظروف مهيأة لاختيار طريق الحق لكن بدون فرض ظروف معيّنة أو كما قلت أنت إجراءات معيّنة، ولو كان عمل رسول الله (ص) بهذه الإجراءات ليتّم الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام بالإجبار وعلى كراهة بعض الناس أو أكثر الناس، أما الذي حصل لم تُترك حجة للذين لم يوالوا

عليًا (ع) أمام الله سبحانه وتعالى لأنهم بالمعنى الأدق لم يوالوا رسول الله (ص) الذي يدعو إلى الله تبارك وتعالى وبالتالي فهم لم يؤمنوا بالله أبدًا، فهم اختبروا أحسن اختبار، ونحن الآن نُختبر بنفس الاختبار مع تبدل الأشياء والوجوه والوقت.

- بفهمي القاصر أنا دائما أربط الأحداث الآن وقديما بقصة آدم عليه السلام مع إبليس - فهل تفكيري صحيح أو أصححه؟
وجزاكم الله خيرًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الأربعاء ٣٠ صفر ١٤١٧

الجواب

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته

١ - إني لا أجد - عادة - رغبة ولا مجالا لتصحيح الأخطاء الشخصية الراجعة للمعرفة، ولكني لمستُ في رسالتك صدقا وبوادرا اهتمام بالدين، فرأيتُ أن أجيب عليها بما أرجو أن يكون نافعا، ورأيت أن أعلّق الجواب في المسجد عسى أن ينفع أيضا من كان وضعه كوضعك

٢ - تحليلك للموضوع صحيح بإجماله، غير أن صحته وحدها لا تدلّ على المعرفة، كما أنه لو كان خاطئا لم يدل كذلك بمفرده على عدم المعرفة، فقد يكون شخص ذا معرفة ولكنه يخطئ في تحليل بعض المسائل الدينية

المعرفة عبارة عن فهم عام لروابط الأمور ومواقعها، فمثلا: لو كانت أمّ امرئ اسمه (ج) مثلا أو بيئته قد ربّته على ذكر أمير المؤمنين عليه السلام فتعلق به وأحبه، وبعدما كبر أخذ يقرأ عن حياته فحفظ كثيرا من أخباره، فهذا ليس هو المعرفة المطلوبة، حتى وإن

استطاع العمل بكثير من أقوال الإمام عليه السلام وأعماله، كما لو قد وجد الإمام عليه السلام كان يلبس الثوب الرخيص، فاقتدى به في لبس ثوب رخيص...، فإن هذا ليس عملاً بمعرفة

وأما إذا علم (ج) أن الإمام عليه السلام كان يلبس الثوب الرخيص تأسيا برسول الله صلى الله عليه وآله، فهو بهذا يؤشر إلى النبي صلى الله عليه وآله، فهذا المفهوم يحركه إذن إلى البحث عما كان يفعله، كما وأن (ج) يرى نفسه بحاجة حينئذ إلى تعقل معنى التأسّي وهل أنه مجرد تطبيق حرفي لعمل كل من النبي والإمام، أم أنه اتباع لهما في المشي الهادف على صراطهما، فهو بحاجة إذن إلى معرفة سبيلهما ووجهتهما، وكيفية سلوكهما لذلك السبيل...

ثم وإن (ج) يجد نفسه بحاجة إلى أن يعرف هل اتباع المطلوب هو سلوك، أم أنه رغبة وسعي قد لا يستتبع عملاً في الخارج لمانع من الموانع المستضعفة للإنسان، كما ويجده حينئذ بحاجة إلى فهم نفسه وإمكانياتها وما يساعدها على التأسّي بالنبي صلى الله عليه وآله، وما يمنعها عن ذلك...

ومضافاً إلى ذلك فيما أن نفس (ج) التي يفترض كونها متطلعة إلى المعرفة لا تشبع من علم، كالشجرة التي لا تتوقف عن النمو المستمر، فسوف يبحث (ج) - فيما يبحث - عن ملابس أخرى لرخص لباس الإمام عليه السلام، بما منها ارتباطه بإمامته مثلاً...

هذا والمأمول أن لا يُعامل مع الأمثلة التي ذكرتها إلا كمجرد مؤشرات سريعة مبسطة للمعرفة، فإن المرء الطالب للمعرفة سيجد بنفسه أمثلة كثيرة من حياة المعصومين عليهم السلام للانطلاق منها إلى معرفتهم، بل إن المنطلقات الصالحة إلى المعرفة هي ما يجدها الطالب بنفسه ولو بالاستعانة، لا التي تُملى عليه، فإن ذلك قد يقود إلى تصنع في الحركة...

وعلى أيّ حال، فلو أن نفس (ج) آمنت بضرورة هذه الحركة الشجرية ورغبت فيها، فبدأت بالتحرك في ذلك الاتجاه، فهو - إذن - على صراط المعرفة، وستنمو نفسه بصورة صالحة إن شاء الله وستصبح بالتدرّج أكثر معرفة وإيمانا فأكثر، مثلما تنمو البذرة نموّاً شجرياً، فقد تصبح بالتدرّج شجرة كبيرة أو صغيرة، قوية أو ضعيفة، حسبما للبذرة من إمكانيات ذاتية، وما تنهياً لها ظروف النموّ، وما تواجهه من موانع...

× × × × × × × × × ×

فلو كنت أنت كما وصفتُ آنفاً فإن كون (معرفتكَ بالدين قليلة) - كما قد وصفت حالك في رسالتك - إنما يعني التدرّج الذي لا بدّ منه في المعرفة، وحتى لو لم تتوفر لك الظروف المناسبة فلم يحصل لك النموّ المرغوب وظلّت معرفتك قليلة، فأنت على الصراط بموالاتك لإمامة الطريق وائتمامك بها بقلبك ونيّتك

وسعيك... ، وأما لو كان الشخص ممن لا يستطيع حتى تشخيص اتجاه الطريق فلا يستطيع تشخيص الإمام من الأساس لِيُحِبَّه كإمام ويرغب في معرفته، فهو إذن مستضعف لا يكلفه الله إلا وسعه وحسابه على الله عزّ وجلّ العالم بوسع كل نفس...

وإن كنت قصدت من قولك بأن معرفتك بالدين قليلة ما يتصوره أكثر الناس من كون المعرفة عبارة عن مجموعة من المعلومات الفكرية فمن ملك منها عدداً أكثر كانت معرفته أكبر، ومن ملك منها كمية أقلّ كانت معرفته بتبع ذلك أقلّ... ، فإني أراك على خطأ، وأظن أن هذا المقال سيساهم في تصحيحه إن قرأته بتدبر...

× × × × × × × × × ×

إني لم أفهم مقصودك من قولك: « ... فهُمْ اخْتَبَرُوا أَحْسَنَ اختبار، ونحن الآن نُختبر بنفس الاختبار مع تبدّل الأشياء والوجوه والوقت » فإني وجدته كلاماً عاماً لا يزيد المرء علماً، ولا يشخص له عملاً، وإني أظن هذا الأسلوب متأثراً بمقالات وعظية أو خطابية...

ثم، وحتى لو افترضنا أن المقارنة كانت دقيقة ونافعة، فإني لم أجدها مما يجسّد المعرفة، فإن التعامل المعرفي مع المسائل لا يكون بهذه الطريقة، وإني أحاول توضيح هذا فأقول:

نفترض أن فهمك وتحليلك لما حدث آنذاك كان صحيحا،
ونفترض كذلك صحة تشخيصك لما نحن فيه، ولنفترض أيضا
أن تشبيهك لهذا بذاك قد نفعك شيئا جديدا... فإن هذا ليس إلا
حركة سطحية، وانتقالا متكلفا من حادثة إلى أخرى...، فهو إذن
ليس حركة نابعة عن معرفة

والمعرفة هي أن تكون نفسك قد واجهت ذلك الحدث
التاريخي في حركتها النابعة من فطرتها، فبحثته لا لشيء غير
وقوعه في طريقها إلى ربّها وحسب، فعرفته واعتقدته وتغذت
به فتمت وازدادت قناعة وإيمانا... كما ينمو الجسد بغذاء صالح
يطلبه ويطعمه بغريزته فيزداد قوة، وكما تنمو الشجرة بما تجده من
غذاء مناسب فترداد ارتفاعا وصلابة...

ثم وإن نفسك النامية ستتعامل حينئذ مع أي حادث آخر وفق
هذا النمو (المعرفة) الحاصل فيها، وبما أن ما هو الموجود في
نفسك ليس مفهوم ذلك الحدث وحده، بل مفاهيم أخرى كثيرة،
بل إن الذي يوجد في النفس ليس مفاهيم الأشياء بذواتها، وإنما
حصيلتها ونتيجتها المتجسدة في حالتها الخاصة، وذلك كحصيلة
أنواع ما يتغذى به البدن، المتمثلة في نموه وقوامه...

أعود فأقول: بما أن المعرفة الحاصلة في النفس إنما هي نتاج
مفاهيم كثيرة متمازجة، فتعامل النفس مع أي مفهوم أو حدث

جديد إنما يتأثر بتلك المعرفة، لا بمفهوم معيّن مما كانت قد
تكوّنت منه المعرفة

أجل، إن النفس إنما تضم المفاهيم والأفكار التي تتلقاها إلى
بعضها البعض وتخلطها، وذلك بشكل تلقائي ووفق طبيعة النفس في
التعامل مع الأمور، وأيضاً بطريقتها الخاصة في الموازنة والتنظيم،
وبهذه الطريقة تتغذى النفس بالمفاهيم وتنمو بها...

× × × × × × × × × ×

لأجل توضيح هذه المسألة المهمة جداً فإنني أحاول أن آتيها
من باب آخر، وأصيغها صياغة أخرى فأقول: إن المفاهيم الدينية
المسموعة أو المقروءة التي يتلقاها المرء قابلة لأن تُتعامل بثلاثة
أنماط رئيسية من التعامل:

الأول: أن يجمعها في ذهنه ويخترنها في ذاكرته كما هي من
دون أيّ تغيير، بغية الاحتفاظ بها بتصور أن ذلك يكفيه معرفة
وعلماً، أو العمل وفقها قدر الإمكان، أو للطرح على الغير. أو
للتباهي بها وما شاكله من غايات دنيوية أخرى... فهو بهذا يكون
كمن يجمع كتباً فيجعلها في خزانة لغاية أو أخرى...

الثاني: أن لا يكتفي باخترانها في ذاكرته بشكل متجزئ، وإنما
يقوم بغربلتها وتعديلها وتركيبها مع بعض والتصرف فيها وإثراء

صحيحها وتعميقه من جهة، ورفض خاطئها من جهة أخرى، وغير ذلك من عمليات ذهنية يقوم بها كثير من الناس تجاه المفاهيم الدينية بدرجة أو أخرى...، فهو إنما يفعل كل هذا أيضا للاحتفاظ بالمفاهيم الدينية المتبلورة، بتصور أن ذلك يكفيه معرفة وعلماء، أو العمل وفقها قدر الإمكان، أو للطرح على الغير، أو للتباهي بها وما شاكله من غايات دنيوية أخرى...، وهذا ما أسمّيه بالتعامل الذهني مع الأفكار، وهو منتشر بين المهتمين بالفكر وإن كان دينيًا...

الثالث: أن يتلقى المفهوم لا لشيء إلا لحاجة نفسه الطبيعية إليه، فمثل نفسه في هذا كمثل الفرخ الجائع الفاتح منقاره لالتهام الطعام الذي تجهّزه له أمّه...، فكذلك تلتهم النفس التّهم المفهوم الجديد، فيمتزج هنالك - تلقائيا - في العقيدة القائمة فيها، إن كانت موجودة، فيزيدها وضوحا ورسوخا وقوة، أو يؤسس فيها عقيدة إن لم تكن موجودة، أو يسبب فيها تغييرا معينا...

أجل، إن النفس لا تتعامل مع المفاهيم التي تتلقاها كما يفعله البناء من رصّ الآجرّ وضّم بعضها إلى بعض بطريقة معينة مثلا، بحيث يمكن الإشارة إلى أيّ آجرّة منها ضمن مجموع البناء بل كما يفعله الرّسام بنقاط الصبغ التي يستعملها في الرسم، حيث أن كل نقطة من تلك النقاط وإن كانت تساهم في نموّ الرسم وتبلوره وتجعله متغيرا باستمرار، ولكنها ذائبة في غيرها من النقاط، فكما

لا يمكن الميز بينها، فكذلك لا يمكن الميز بين المفاهيم التي قد استعملتها النفس للتدين

× × × × × × × × × ×

وعلى هذا الأساس يلاحظ: أن مَنْ بدأت تتكوّن لديه المعرفة يجد - بدرجة أو أخرى تبعاً لدرجة المعرفة المتكونة لديه - أنه لا يملك مفاهيم جاهزة مستقلة عن بعضها قابلة للنقل إلى الآخرين، وإنما يستطيع أن يختار بُعداً من أبعاد الحقيقة الموحدة المتحصلة في نفسه من تمازج المفاهيم والتي نسميها بالمعرفة، فيبحث عن عبارة تعبر عن ذلك البُعد وتؤشر إليه ليُدلّ بها إنساناً أو أناساً معينين إليه، فيحصل لديه بذلك مفهوم معيّن قابل للطرح لا على جميع الناس، وإنما على شخص أو أشخاص معينين لمساعدتهم في التفكير والوصول إلى المعرفة التي ليس ذلك المفهوم إلا مجرد مؤشر إلى بُعد من أبعادها...

فصاحب المعرفة في طرحه مفهوماً على غيره يعاني من أمرين مترابطين: صياغة المفهوم صياغة تأشيرية، أي لمجرد أن يؤشر إلى جانب من الحق المطلوب، للفت انتباه المستمع (أو القارئ) ودعوته إليه فحسب، إذ أن صاحب المعرفة يعلم بوضوح أن المفاهيم لا يمكنها استيعاب الحقيقة وبيانها ونقلها

إلى الآخرين جاهزة، وإنما الإشارة إلى شيء من الحق لمجرد
لفت الانتباه فقط...

وثاني الأمرين: ملاحظة المستمع ومدى فهمه وحرية وقدرته
ورغبته لا في تلقي مفاهيم معينة، بل في البحث عن الحق من
خلالها...، فإنه لو افتقد شيئاً من تلك الخصال فسوف لا يتعامل
مع المفهوم المتلقى كمؤشر ومنبّه، فبذلك يضع المفهوم، بل
يتلوّث ويتشوّه... وإن كان في نفسه صالحاً

فبناء على هذا وذاك، فإن صاحب المعرفة يعاني كثيراً في
طرحه مفهوماً معرفياً على أحد، ويتأذى جداً من تشوّه وزلّقه
بمساره واتجاهه، رغم ما كان قد بذله من جهد في جعله نافعا،
شأنه في ذلك شأن من كان قد كدّ وهياً دواء معيناً فناولوه المريض
فلم يفده، بل زاده مرضاً!...

× × × × × × × × × ×

وأطلّ على المسألة من نافذة أخرى فأقول: إن التعامل الصحيح
الوحيد مع المفهوم المعرفي الذي يسمعه المرء أو يقرؤه هو أن يتلقاه
لا لشيء إلا ليتدبره ويعرضه على نفسه التي يُفترض سلامتها، فإنها
سوف تقبل المفهوم حينئذ إذا كان صالحاً، وينعكس ذلك في أنها

تنمو وتزداد علما وإيمانا بمقدار ما للمفهوم المتلقّى من أهميّة،
ولأوضح هذا الأمر المهم فيما يلي:

ولنفترض أن هنالك امرء اسمه (إبراهيم) الذي نفترض أن نفسه خالية عن أي شيء غير إمكانياتها الذاتية وحالتها الفطرية، فهو بفطرته يجد أن له ربّا فيسعى إليه ويبحث عنه... ، وبإمكانياتها الذاتية تستطيع نفسه التيقن بالتدرّج من وجه الله الذي يبحث عنه... ، وذلك بالطريقة التالية:

بما أن إبراهيم يبحث عن ربه وموقعه ووجهه ليأتيه، وبما أنه بعدُ في بداية الطريق فهو يحتمل أن يجد في أي شيء ما يدلّه على ربه، ومؤشرا يؤشر إليه، ولكن بما أنه لا يعيش بمعزل عن الناس، فهو يستعين بأقوالهم وأفعالهم بهذا الصدد، انطلاقاً مما في داخله من إحساس طبيعي عام يدعوه إلى الاهتمام بتجارب الناس في جميع شؤون الحياة... ، فهو يتدبر أي شيء يعامله الناس كمظهر لله سواء فيما يجسّدونه بما يشاهده من أفعالهم، أو يسمعه من أقوالهم...

فمثلاً لو سمع من أحد مفهوماً يؤشر إلى جانب في جهةٍ يفترض أنها وجه الله عزّ وجلّ، وارتاحت له نفسه الباحثة عن الحق بدأت نفسه تحتمل أن يكون ما يؤشر إليه المفهوم المسموع هو سبيل الله الذي تطلّبه... ، وإذا سمع مفهوماً آخر يشير إلى جانب

آخر من نفس الاتجاه ويصب في نفس المصبّ، وكان مما تتقبله النفس كذلك، ازدادت درجة الاحتمال...، وهكذا إلى أن يتلقى بالتدريج مجموعة كبيرة من المؤشرات التي تشير إلى أبعاد الوجه المتعددة، فتتضح له من تآلف تلك النقاط المتعددة وترابطها ملامح طريق... فتزداد درجة الاحتمال بكون ذلك الطريق هو الهدى زيادة كبيرة لتبلغ العلم والإيمان والاطمئنان، إحساسا كامنا في نفسه بأنه لو لم يكن الطريق المكتشف هو الهدى لما تفاعلت نفسه مع جميع تلك المفاهيم التي قد دلّته عليه، ولما اندفعت بما كان كل منها يدفعها فيه، فإن نفسه لم تنتظر لينكشف الطريق تماما فتبدأ بالتحرك، بل كانت تتحرك مع كل مؤشر فتجرب الطريق تلقائيا، وتؤكد منه عمليا...

× × × × × × × × × ×

ثم ومن جوانب المعرفة المهمة الكثيرة جدا، بل المتكاثرة باستمرار: هو ما كنت قد أشرت إليه من أن استفادة المعرفة من المفاهيم لا تيسّر إلا برغبة النفس النابعة في أساسها من انجذابها الفطري إلى الحق...، والذي أريد قوله الآن هو أن على المرء الطالب للمعرفة أن يبحث عن العوامل التي قد تدفع المرء إلى الاهتمام بالمفهوم الديني لا رغبة في الدين وطلباً للحق بل تأثراً

واندفاعاً بتلك العوامل فيشخصها بالضبط ليحاول الابتعاد عنها، وهذا النوع من العوامل كثيرة ومتنوعة ومنتشرة بشكل فظيع...

وليس معنى هذا الكلام أن على المرء إذن أن يدع نفسه وشأنها فلا يتصدى لها، لكي لا تفقد حرّيتها المطلوبة في التعامل مع المفاهيم الدينية...، وإنما معناه أن المعرفة الدينية الصادقة لا تحصل للمرء إلا أن تكون نفسه تطلبها وترغب فيها...، وأما أنها كيف ترغب في الدين، ومتى ترغب، وما هي موجبات استمرار رغبتها، وما هي موانعها... فذلك أمر سيجد طالب المعرفة بنفسه خطورته فيبحث عنه، وإن وجدني لم أذكره فتصور أنني لم أره مهماً مثلاً...، وحتى لو كنت قد صرّحت بذلك جهلاً أو غفلة...

× × × × × × × × ×

لو كان الذي قد ذكرته استطاع دلالة القارئ على ما قصدهُ وجعله يتدبّر الأمر ليعيه، فإني أراه حينئذ يشخص أن كثيراً من الأحاديث الدينية المقالة أو المكتوبة ليست قابلة للتحوّل إلى معرفة، وأن أكثر الذين يسمعون أو يقرءون الأحاديث الصالحة القليلة وإن كان باهتمام، لا يستهدفون بها المعرفة، وأن كثيراً منهم غافلون بأنفسهم عن هذه المشكلة، ومن أكثر هؤلاء إخلاصاً من يطلب المفاهيم المعرفية للعمل، فيجهد لذلك، ومن الطبيعي أن يفشل، فيقنط! والسبب الرئيس أنه قد قفز بالمفهوم المعرفي

الذي إنما هو غذاء النفس، إلى العمل مباشرة قبل أن يكون قد
نضج داخل نفسه وتحول إلى معرفة تشخص له الأمور وتضيء له
الطريق وتبصره به، فمن ثم أثمرت عملا في الخارج إن توفرت
له الأرضية المناسبة...

× × × × × × × × × ×

ومهما كان من أمر فإني قد وجدتُك انتقلت أفقيا من قضية معيّنة
إلى أخرى وربطت بينهما من دون أن تمر حركتك عبر المعرفة
المتكوّنة من قضايا كثيرة منصهرة في صورة موحدة... فإن المعرفة
لا تنمو أفقيا أو عموديا، وإنما شجريا، فكما أن كل ثمرة من ثمار
الشجرة ليست إلا نتاج الشجرة ككل، فكذلك البصيرة إنما هي
نتاج المعرفة القائمة في النفس كشجرة طيِّبة متكوّنة من أفكار
مختلفة متمازجة...

× × × × × × × × × ×

وأما ربطك للأحداث الآن وقديما بقصة آدم عليه السلام
وإبليس فإنه أيضا عام من جهة وحركة في اتجاه واحد أفقي (أو
عمودي) من جهة أخرى، مضافا إلى أنني لم أفهم كيفية ربطك
بين الأمرين... فلا أستطيع الحكم عليه بالصحة أو الفساد حتى
بالأسلوب المتعارف للتعامل مع الأفكار...، ثم وإنني قد تعجبتُ
من قولك: « فهل تفكيري صحيح أو أصححه » لا لتعاملك

التجزيئي العجيب مع الأفكار واعتبارك كل فكرة مستقلة عما حولها ككتب مصفوفة في رفوف مكتبة مثلاً... بل لقدرتك على تغييرها بقول قائل ونصح ناصح! فإني لم أكن أتصور أن أحدا يستطيع أن يغير (تفكيره) بهذه السهولة، وإن كان قد تصنعه بذهنه وحسب ولم تعرفه نفسه ولم يعتقده قلبه! بل وحتى إذا كان مقصودك بـ(تفكيرك) القابل للتصحيح هو التصور البدائي الذي يتصوره المرء ليبدأ منه البحث عن المعرفة...

وعلى أي حال أرجو أن يصلح الله أمري وأمرك ويجعل عاقبة أمرنا خيراً ولا يتوفّانا إلا مسلمين... ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

× × × × × × × × × ×

وفي الختام أؤكد ما لا أظنه يخفى على عاقل أن ما ذكر في هذا المقال ليس إلا مجرد إشارات جدّاً سريعة إلى شيء قليل ومتفرق من جوانب المعرفة التي تكاد أن لا تُحصى، فهو لا ينفع إلا من تعامل معه كذلك...

.....

محمد علي باقري

٦/ ربيع الأول/ ١٤١٧

الرسالة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم ١٩ ربيع الأول ١٤١٧

.....

في البداية أشكرك على الاهتمام بالرد على شخص بسيط مثلي،
وأشكرك على المقال الذي كتبته فوجدته ضروريا بالنسبة لي (١)

.....

- في الصفحة الثانية الفقرة التي تبدأ بـ « ومضافا إلى ذلك فبما
أن نفس (ج)... بما منه ارتباطه بإمامته مثلا »

الموضوع: أنا أرى أن المشكلة بأن عندي عقيدة بالله تعالى
وبرسوله (ص) وبأئمته (ع)، فلو كان شخص صغير السن وليس
عنده تراكم من المعتقدات الصحيحة والخاطئة فسيكون أسهل
عليه فهم الأمور (٢)

لا أعلم المثال الذي ضربتموه على رخص لباس أمير المؤمنين (ع)
أو مثال آخر على طعامه هل هو مرتبط بإمامته لي أم لا؟ (٣)
وكيف لي أن أعرف أين أضع يدي على الإجابة (٤)، فلنفترض
أن هذا الشخص (ج) يحب الإمام ويقتدي به ويسعى للاقتداء به
طول حياته، ويتدبر معنى أن الإمام يلبس لباس أضعف الناس
وأفقر الناس فيرفع من شأن الفقراء فيسقط اللباس الفخم من

أعين الناس، فيظل الناس يسعون لله تعالى، فلا تزيف قلوبهم على لباس فخم أو مأكّل طيّب وجيّد أو أموال أو أيّ شيء يجرّ إلى الدنيا وينسي الآخرة (٥) وأكيد فيه جوانب أخرى لا أعلمها، أو لم أتوصل إليها (٦) فالسؤال هو ما هو الشيء الذي يربط عمل (ج) بآثامه لأمر المؤمنين (ع)؟ (٧)

- المقال الصفحة التاسعة عشر الفقرة الثانية « على المرء الطالب للمعرفة... لا رغبة في الدين بل تأثراً واندفاعاً بتلك العوامل فيشخصها للابتعاد عنها »

لو تفضّلت بضرب مثال على إحدى هذه العوامل مع الشرح إذا أمكن مع العلم بأنني أجد الرياء والإعجاب بالنفس والتكبر - وحتى شخص يتدين فيزهد ويتقشف وفي نفسه أنه يبهر الناس بقدرته على هذا العمل - من هذه العوامل. فماذا تجد أنت؟ (٨)

- أما الفقرة التي تليها « المعرفة الدينية الصادقة لا تحصل إلا أن تكون نفسه تطلبها وترغب بها... أما أنه كيف ترغب ومتى وموجبات استمرار رغبتها وموانعها... »

وددت لو تفضّلت بتزويدي بمثال على كل واحدة منها حتى أقارنه بما أعرفه (٩)، وحتى أتعرف على الطريقة الصحيحة للتفكير - الإنسان قلق ومتوتر فيرغب بالدين فيتقرب إلى الله تعالى

فيشعر بالأمان والقوة فيزول التوتر والقلق إلا قلق كيفية التقرب
إلى الله تعالى وهل تبارك وتعالى راض عنه أم لا؟

ملاحظة: إذا كنت تريد الإجابة على تساؤلاتي وتعتقد بأنها
لا تنفع غيري فيكون الرد شخصيا أفضل (١٠)، أما إذا وجدت
أن أسألتي غير مخجلة فلا يوجد عندي أي مانع من إعلانه في
المسجد، وأعذرني على صراحتي (١١)

ويجزيك الله خير الجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب

(١) كنت أرغب وأتوقع أن يتبين لي كيف كان المقال ضروريا لك، وماذا كان قد أعطاك بالضبط ... ؟ فإني لم أجد في رسالتك ما يوضح لي شيئا بهذا الصدد، بل وجدت ما استنبطت منه أن المقال لم ينفك، وسأبين في هذا التعليق بعض الشواهد على ذلك، عسى أن تنبّهك إلى ما لعلك قد غفلت عنه... وتنفع غيرك إن شاء الله

(٢) لو كان امرؤ قرأ مقالي السابق بحُرّية وإمعان لألّم بكيفية تكوّن العقيدة في النفس، وعرف بأني أرى أن العقيدة الدينية الصالحة الناتجة عن المعرفة ليست عبارة عن مجموعة من أفكار صحيحة وغير صحيحة، وإنما نتاج مفاهيم كثيرة متمازجة...

وها أنا إذ أدعوك إلى مراجعة المقال أكرر لك هنا تلك المسألة (أي مسألة كيفية تكوّن العقيدة في النفس) بعبارة أخرى مختصرة مع شيء من الإضافات التي يتطلبها المقام فأقول: إن ما قد يجتمع عند الشخص إنما هو أفكار ذهنية صحيحة وأخرى

باطلة، لا « معتقدات صحيحة وغير صحيحة » فإن المعتقدات ليست في أساسها إلا معتقدا واحدا صحيحا، وإن كان فيه شيء من نتاج الأفكار الخاطئة غير المؤثرة، أو أنها في حقيقتها معتقد باطل موحد كذلك، فإن مكان العقيدة هي النفس، وهي لا تستطيع تقبل فكرتين مختلفتين، فكل فكرة تتلقاها النفس من الذهن لا بد وأن لا تناقض الصورة الموحدة المؤلفة من الأفكار الأخرى الموجودة فيها، بل يجب أن تعانق تلك الأفكار فتذوب في الصورة المكوّنة منها...

فلو لم تكن الفكرة الجديدة ملائمة للأفكار القائمة في النفس بشكل مترابط متشابك كعقيدة موحدة، حاولت النفس أن توفق بينهما وتجعلهما متناسقتين، وذلك بالتصرف في الفكرة الجديدة لتصبح قابلة للذوبان في الصورة العقائدية القائمة، وإن لم تتمكن من التوفيق رفضت الفكرة الجديدة وطردتها، إلا إذا كانت مهمة آبية الرفض قامت النفس حينئذ بمراجعة الصورة الموجودة فيها وصياغتها لتستطيع احتضان الفكرة الجديدة...، كل ذلك في حدود ما تجيزه الأساسيات المركوزة في النفس فلا يمكنها أن تتجاوزها في القبول والرفض للأشياء...

ويجب أن لا يخفى أن هذا لم يكن إلا تحليلا ذهنيا مبسطا، لا تصويرا حقيقيا لعملية الاحتضان، أو الرفض، أو التوفيق التي

تحصل في النفس بتلقائية وبسرعة عظيمة تأبى الرصد والملاحظة في حينها... ، ولا يخفى أيضاً أن ما قد نسبته إلى النفس من العمليات المذكورة قد يقوم بها الذهن للنفس، فإن الفصل بين وظيفتيهما ليس ممكناً لي...

ومهما كان من أمر فبناء على ما ذكرتُ، فإذا كان ما في نفس المرء عقيدة صالحة فذاك، وإن كانت عقيدة دينية باطلة ناتجة عن سبب ضالٍّ، فإنه سيتصرف تلقائياً في المفاهيم الصحيحة التي يواجهها، فيقوم بخنقها وتشويهها لأن لا تصطدم بأساسيات العقيدة الضالة الموجودة في نفسه

× × × × × × × × × ×

هذا، وإن تلميحك بصعوبة فهمك للأمر كان مؤشراً جيداً وخطوة ضرورية في الطريق الصحيح، فإن من يطلب المعرفة لا بد وأن يلاقي صعوبة كبيرة لا تتدل إلا بجهد شاقٍّ ومستمر لا يتحمله إلا المؤمنون المخلصون الذين لا يمكنهم الاستغناء عن العلم، إذ يجدون في نفوسهم حقيقة رواية الكافي (١/ ٣٠) أن « طلب العلم فريضة »، وحقيقة روايته (١/ ٣٤) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ... » فيطلبون العلم « وَلَوْ بِسَفِكِ الْمُهْجِ وَخَوْضِ اللَّجَجِ » كما في رواية الكافي (١/ ٣٥) أيضاً، وأما تفسيرك لصعوبة فهمك

فهو بحاجة إلى شيء من النقاش بُغية إزالة ما فيه من التشويش الذي يضرّ بسلامة حركتك في طريق المعرفة... فأقول:

١ - من المجرب المعروف أن كبر السن لا يؤثر سلبا على فهم المرء للمسائل الراجعة للمعرفة، بل قد يؤهله لأن يفهمها أفضل من الشخص صغير السن الذي يفتقد - عادة - الحكمة والنظرة الواقعية المتأنية إلى المسائل، وذلك مما لا بدّ منه في المعرفة التي أساسها العقل... وليست المعرفة معلومات فكرية جاهزة لتُحفظ كي تحتاج ذاكرة نشطة يتمتع بها صغير السن عادة أكثر من الكبير أجل، إن الشاب - عادة - يكون أقدر على تبني ما يعرف، وأسرع في الاعتقاد به بشرح لا مجال له الآن

٢ - وأما ما عبرت عنه بـ «تراكم من المعتقدات الصحيحة والخاطئة» فهو قد يسبب للمرء مشكلة ويمنعه عن فهم مسائل المعرفة، إلا أن فهم تلك الحالة - أي حالة التراكم - بصورة صحيحة سيساهم في علاج المشكلة، لذلك فإنني أحاول أن أشرحها فيما يلي:

أظن أن ما قصدته بـ «تراكم من المعتقدات الصحيحة والخاطئة» هو تراكم معلومات فكرية صحيحة وخاطئة ناتجة عن قراءة مقالات أو سماع أحاديث...، وعلى أي حال فمن كان لديه ذلك النوع من التراكم - ولنرمز إليه بـ(ف) - وصادف مقالا يتناول الفكر

لا ليجهزه للناس، بل ليعرفهم على كيفية التعامل معه... فإنه قد يواجه إذن عقبتين رئيسيتين في فهم المقال:

(أ): أن (ف) حينما يصادف مقالا يستهدف الدلالة على المعرفة ليأتيها الناس بأنفسهم، والمفروض أنه لم يعهد هذا النمط من المقال في قراءته وسماعه للمقالات الدينية، حيث أن ما كان يقرؤه (أو يسمعه) بهذا الصدد لم يكن إلا ثلاثة أنواع رئيسية: إما مقال وعظي، فكان يقرؤه للاتعاظ مثلاً، وإما مقال متضمن لمعلومات دينية، فكان يقرؤها ويحفظها، وإما مقال يطرح الفكر الجاهز، فكان يقرؤه (ف) فما لم يفهمه أهمله، وما فهمه حفظه كما حفظ المعلومات الدينية كالنصوص التاريخية مثلاً... وكان يتصور أن الدين ليس إلا هذا الذي يفعله هو

أقول: فلو صادف (ف) مقالا يتناول الفكر لا ليجهزه للناس، بل ليعرفهم على كيفية التعامل معه... فإنه إما يعتبره كالمقالات الفكرية التي كان قد تعود عليها، فيبدأ بالتعامل معه بنفس الطريقة، ولكن بما أنه لا يجد في المقال فكرة (أو أفكاراً) محددة جاهزة ليحفظها، فإنه سيهمله، وإن لم يستطع إهماله بسبب أو آخر، فسيقوم بتقطيعه كما يشاء، فما فهمه من المقاطيع حفظه، وما لم يفهمه تركه، فبهذا وذاك حصل على أشلاء مبعثرة مشوّهة قد تصلح للدلالة على أي شيء آخر غير العلم!

(ب): وإذا كان (ف) قد تمكّن من اجتياز العقبة السابقة فتفهم الفرق بين المقال الجديد والمقالات الفكرية الأخرى التي كان قد عهدّها، فإنه - إذن - سيواجه عقبة أخرى في الطريق، وهي صعوبة المقال حيث يتطلب بطبعه كثيرا من الدقة والجهد، خصوصا وأن (ف) كان قد تعودّ على قراءة وسماع مقالات سهلة، ولم يتعودّ على التعامل مع هذا النمط من الأحاديث التي لا يكاد يتم فهمها إلا ببحث مخلص منطوق على مشقة كبيرة...

× × × × × × × × × ×

وهناك عقبة أخرى قد يواجهها أيّ امرئ يصادف مقالا لتعليم الفكر، وإن لم يكن لديه تراكم من المعلومات. وتلك العقبة هي: أن هذا النوع من المقال يحمله مسؤولية البحث والتعقل في العقائد، بدل الاعتماد على الغير، وبما أن ذلك عمل شاق جدّا، فبمجرد أن يبدأ الشخص يحس بذلك فإنه سينغلق تجاه المقال، ومن لا يهتم بالعلم لا يفهمه...

× × × × × × × × × ×

وبغض النظر عن العقبات المذكورة فإن (ف) الذي لديه تراكم من أفكار صحيحة وخاطئة، بل، وبتعبير أدقّ: كان لديه تراكم من مقروءات أو مسموعات فكرية صحيحة وخاطئة، والمفروض أنه ليس متعصبا، فإن ذلك سيمكنه من المقارنة التي هي ضرورية

في معرفة الهدى، على خلاف من لا يملك أية خلفية عن الأفكار الدينية المطروحة هنا وهناك، وأرى أن أي امرئ عاقل يستطيع أن يجرب هذا على نفسه والآخرين...

(٣) لم أذكر المثال لأبين إمامة الإمام لك، فإني لست قادراً على جعله إماماً لشخص معين، بل لم أرد منه بيان إمامته للناس عامة وإن كنت أستهدفه في أحاديثي، والذي أردته هناك هو الإشارة إلى الطريقة العامة لطلب المعرفة، لا الحديث عن الإمامة ومعالمها بالذات

(٤) الذي استهدفته في المقال السابق الإشارة إلى بعض منافذ المعرفة وأبعادها...، وليس في المعرفة إجابة محدّدة ليضع أحد يده عليها، ومن يبحث عن مسائل كذلك فهو لا يطلب المعرفة، وإني أتأذى جداً ممن يجزئ أحاديثي التي إنما أستهدف بها المعرفة فيحوّلها إلى معلومات يمكن وضع اليد على أية مسألة منها بمغزل عن المسائل الأخرى..

(٥) الكلمات المسطرة هنا وبهذه الصورة لا تعكس إمامة الإمام عليه السلام، وإن كان قائلها معتقدا بها مخلصا في تسطيرها، فإنها ليست إلا قفزات عمودية في الفضاء، وشيئا مبتورا مقطوعا عن جذوره وأبعاده...، فهي لا تعكس الإمامة التي هي ميزان الأشياء والصراط المستقيم إن لم تشوّهها، ولعلها مستوحاة من أحاديثي التي كنت أركز فيها على هذا النمط من الأمور كمؤشرات إلى شجرة الإمامة ومنافذ واقعية للوصول إليها، فحوّلت إلى أمور محددة قابلة للحفظ والترداد والنقل... ولا حول ولا قوة إلا بالله أجل، لو أن امرءً بحث العوامل المؤثرة في اللباس مثلا من جانب، والنتائج الواقعية المتأثرة به من جانب آخر، فهناك تمكّن - بإذن الله - من تشخيص موقع اللباس في شجرة الإمامة ذات الأبعاد المختلفة ظاهرا والمترابطة حقيقة، فكانت له بذلك معرفة، وإني أدعو المؤمنين إلى هذا النوع من التعامل مع اللباس وغيره من مظاهر الحياة المتنوعة المختلفة...

(٦) قد يكون للجوانب المجهولة دخل في المعادلة المذكورة، فلو علّمت لتغيرت الموازنة التي تكوّنت منها الصورة، ألا يكفي هذا الاحتمال في منع العبد عن الاسترسال في الحكم، وجعله

مترويا حذرا إلى أن يحصل له الاطمئنان بأن ذلك الذي يجهله لا يغيّر ثوابت ما يعلمه الآن، وإنما لو علمه ازداد به علما؟! ...

(٧) لقد ذكرت في المقال السابق ما يشير إلى هذا، وعلى أي حال فإن الذي يربط عمل (ج) بائتمامه لأمر المؤمنين عليه السلام أن يكون مؤمنا به عن معرفة، فإذا كان العبد كذلك أشارت جميع أعماله حينئذ إلى إمامة الإمام عليه السلام حتى العمل الذي يخالف بظاهره عمله

فمثلا إذا كان (ج) عالما بمعالم ولاية الله المتمثلة في ولاية الإمام عليه السلام ومؤمنا بها، ثم وجد - مثلا - أن الإمام كان يلبس الثوب المتواضع، وبما أن (ج) يعرف إمامة الأئمة فمن الطبيعي أنه يعرف موقع الثوب في تلك الإمامة ومدى وكيفية إسهامه فيها، فالمفروض أنه يعرف أن التواضع في الملبس وإن كان معلما من معالم إمامة الأئمة عليهم السلام، ولكنه لم يكن منطلقا من منطلقاتها والسمة البارزة فيها، وإنما كان مجرد أمر ضمن أمور كثيرة مترابطة متدرجة كان جميعها تشكل إمامتهم، ففصله عن إطاره العام والتركيز عليه يشوّه المعرفة، كما أن التمسك به وحده في العمل قد يضر بالإمامة وهدفها، فيجد (ج) أن

الإمامة التي يعرفها ويؤمن بها هي التي قد تدعوه إلى مسaire
 العرف في ثيابه، فيفعل وهو مطيع في ذلك لإمامه الذي يفترض
 أنه يعرفه قائما وقاعدا...

(٨) إني أجد أن من تلك العوامل التأثير بالكاتب أو المتحدث،
 أو مجارة الوضع القائم، أو الاستئناس بالمفهوم المطلوب، أو التقوي
 به، أو الاستزادة من الثقافة الدينية...، كما ومنها المراءة والتشخص...
 وأما الإعجاب بالنفس فلا أجده مما يدفع المرء للاهتمام بالمفهوم
 الديني، إن لم يمنعه عن ذلك، وكذلك التكبر، وأما التمثيل بـ«شخص
 يتدين فيزهد ويتقشف وفي نفسه أنه يبهر الناس بقدرته على هذا
 العمل» فأجده دليلا على أن المقطع المشار إليه في المقال لم يفهم
 بالمرّة، بل وجميع المقال أيضا! فوا ضيعة جهده!

(٩) أنصحك بقراءة المقال السابق بدقة، فإنك لو كنت قرأته
 كذلك واستعنت في فهمه بثقة لما سألتني ما قد سألتني من الأمثلة
 للمقارنة بينها وبين ما في بالك، وللتعرف على الطريقة الصحيحة
 للتفكير... إني أكرر هنا أن المقال السابق لم يكن يستهدف
 تزويد أحد بمعلومات معيّنة للعمل أو المقارنة، وإنما استهدف

الإشارة إلى بعض الأصول والأبعاد العامة للمعرفة، وكنت أتوقع أنه سيساعد طالب العلم في التعرف على المنطلق الصالح للتفكير الصحيح...، ولم أتوقع ممن قرأ المقال وفهمه أن يظل يبحث عن معلومات معينة ليصحح بها أفكاره...

(١٠) ولكني لا أجد مجالا ولا نفعا للإجابة على تساؤلات خاصة كهذه، خاصة إذا كانت لي تجربة سابقة مع السائل، إلا أن يظهر لي ما يزيل أثر التجربة، وهو ما أتمناه دائما وأترصده...، وإني لا أرى السؤال مخجلا مهما كان بسيطا وبعيدا عن الصواب مادام نابعا من نفس السائل وإحساسه بالحاجة وطلبا مخلصا للعلم... وعلى أي حال فإنني أشكرك على أن هيأت لي برسالتك منطلقا واقعيا لتوضيح ما أراه نافعا، عسى أن ينفع غيرك إن لم ينفعك، ففي نهج البلاغة (الحكمة ٢٦٦) أن رجلا سأل أمير المؤمنين عليه السلام أن يعرفه الإيمان، فقال عليه السلام: «إذا كان الغد فأتني حتى أخبرك على أسماع الناس، فإن نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك، فإن الكلام كالشاردة، يَنْقُفُهَا (أي يصيبها فيصيدها) هذا ويُخْطِئُهَا هذا

(١١) إني أرى أن المرء يستحق الشكر على صراحته، فلا أرى
معنى للاعتذار منها

وعلى أي حال أرجو أن يصلح الله أمري وأمرك ويجعل عاقبة
أمرنا خيراً ولا يتوفّانا إلا مسلمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وفي الختام أؤكد ما لا أظنه يخفى على عاقل أن ما ذكرهنا
لم يكن إلا مجرد إشارات جدّاً سريعة إلى شيء قليل ومتفرق من
جوانب المعرفة التي تكاد أن لا تُحصى، فهو لا ينفع إلا من تعامل
معه كذلك...

محمد علي باقري

١٤١٧/١٤/٢٠

الرسالة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد محمد الباقر،

السلام عليكم

لقد قرأت هذه الصفحات التي وضعت على حائط المسجد
والمرتبطة بموضوع المعرفة

بصراحة أنا لم أفهم تفاصيل ما ذكرتموه (١) ولكن بعض هذه
الأمر التي ذكرتها أجدها في نفسي صحيحة مما جعلني أشعر بميل
شديد اتجاه هذا الموضوع إجمالاً.

ولكنني لا أعرف كيف ومن أين أبدأ للحصول على المعرفة (٢)،
فمثلاً لو افترضنا أنني بدأت بالحضور بشكل مستمر إلى هذا
المسجد (٣) بالإضافة إلى تولّي من أعتقد أنه يسلك هذا الطريق
الذي أريد أن أسلكه أنا (٤) ثم بدأت بالتدريج أفهم أن هناك
مجموعة كبيرة من الأعمال التي يجب القيام بها والتصرف
بموجبها وأخرى يجب الامتناع عنها. فهل بعد هذا أكون قد
حصلت على المعرفة المطلوبة.

لأن هذا الذي ذكرته من امتزاج المفاهيم والأفكار وتغذي

النفس بها افترض أنها تحصل لي بشكل طبيعي ومن ثم تكون قد
 حصلت لي المعرفة المطلوبة من دون أن أنتبه إلى هذا الأمر. (٥)
 هل فهمي هذا صحيح... أفيدوني
 وجزاك الله خيرا.

ملاحظة: هذا النوع من الفهم موجود وأخشى أن يكون شائعا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمعة ١٣ / ج ١ / ١٤١٧

الجواب

(١) عليكم السلام ورحمة الله وبركاته

إن الذي كنت قد كتبت في تلك الصفحات كانت إشارة إلى كيفية (تكوّن المعرفة في النفس) بشكل عام، حسب ما اعتقدته من ملاحظاتي للنفس البشرية في الأساس، مستعينا ومسترشدا بالقرآن الكريم والحديث الشريف، مضافا إلى قراءاتي المختلفة في شتى الجوانب المباشرة وغير المباشرة للعقيدة الدينية...

فلو أن رجلا كان قد قرأ تلك الصفحات لا استطلاعاً أو طلباً لمعلومات أو أفكار دينية مثلاً... بل بحثاً عن وجه الله الذي كانت تحتاجه نفسه، وفهم ركائزها، فإني أرى أنه لو كان قد لاحظ نفسه حينئذ لوجد أنها كذلك تعمل، و - مضافاً إلى ذلك - أراه كان يعلم إذن بنفسه أن ذلك هو الاتجاه الصحيح، وأنه ماشٍ سويّاً على درب المعرفة، من دون أن يشعر بالحاجة إلى أحدٍ لـيستفتيه بشأن سلامة أصل هذا الطريق والاتجاه، وأما تفاصيل الطريق وخصوصياته فهي مما لا يمكن لأحد أن يعرفه بنفسه من دون التعلّم من ذي علم...

هذا لو كان الرجل يعيش في بيئة لا اختلاف فيها، فلم يكن فيها إلا المقال المنشور هنا، وأما الآن فبما أنه يعلم بوجود اختلاف بين الناس في فهم وجه الله فمن المتوقع أن لا يحصل له اطمئنان مستقرّ بما في هذا المقال إلا إذا كان ملماً بالمقالات الدينية المخالفة الأخرى...، وإني اعتبره كذلك حيث افترضته باحثاً عن وجه الله في قراءته للمقال المنشور، فإني لا أستطيع أن أتصور طالب علم كذلك إلا أنه قد جرّب مجمل المقالات المعروضة هنا وهناك فلم يجد فيها بُغية نفسه، ووجدها في ركائز هذا المقال وأسسها... بل وحتى لو استطعتُ افتراض شخص لم يتسنّ له البحث عن الحق - بقدره قادر - إلا في المقال المعروض هنا، فإني لا أظنه سيكتفي بما قد عُرض فيه وإن وجد ذلك في نفسه، بل أرى أنه يحاول التأكد من صحة ما قد وجده في هذا المقال بالاطلاع على المقالات المعروضة الأخرى

أجل إن من صادف أن انطلقَ في بحثه عن وجه الله من المقال المعروض هنا، فلا بدّ وأنه لا يكتفي به وإن وجده موافقاً لمسار نفسه، وإنما يبحث عنه في آراء معروضة أخرى أيضاً، فهناك عرف الخطأ، كما في روضة الكافي (ص ٢٢) والنهج (الحكمة ١٧٣) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَنْ اسْتَقْبَلَ وَجْهَ الْآرَاءِ

عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَأِ » ، فتمكن بذلك من معرفة الصواب كما نقل في روضة الكافي (ص ٣٩٠) أيضا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: « ... واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي حرّفه، ولن تعرفوا الضلالة حتى تعرفوا الهدى... ، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف، ورأيتم الفرية على الله وعلى رسوله والتحريف لكتابه... » ، ولعل إلى هذا أشار القرآن الكريم أيضا في ما قصّه عن إبراهيم عليه السلام من أنه بدأ حركته نحو الإيقان من النظر إلى المعتقدات الرائجة آنذاك...

× × × × × × × × × ×

ومما يجب أن يكون معلوماً أني لا أدعي أن مجرد اطلاع الشخص على الآراء المختلفة المعروضة يحدّد له الرأي الصائب، وإنما أعتقد أن ذلك سيساعده على معرفة الحق الذي تطلبه نفسه، انطلاقاً من قاعدة عامّة وهي أن لكل نفس قابلية معرفة الحق الذي يبحث عنه الذهن فيعرضه عليها، ولعل إلى هذا يشير قول الله عزّ وجلّ (ق: ٣٧): « ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ »، وهذا أيضا مما ترمز إليه قصّة الإيمان التي نقلها القرآن المجيد عن إبراهيم عليه السلام، متجسدة فيما جرى من الحوار بين ذهنه ونفسه التي كانت تنكر وترفض أن يكون الآفل ربّها...

هذا ومن الضروري الانتباه بهذا الصدد إلى أمر مهم جداً وهو أن التأكد من الحق لا يستلزم الاطلاع على جميع ما يُقال، لا لأنه غير ممكن، بل - مضافاً إليه - لأن الطمأنينة التي تنزع إليها النفس بفطرتها لا تتوقف على ذلك، وإنما يتطلب الاطلاع الجاد على المقالات التي تختلف في النظرة إلى (وجه الله) الذي لا بد وأن يدعي جميع المقالات الدينية طرحه وبيانه للناس... ، وهذا النوع من المقالات قليلة متوفرة ميسورة التناول من جهة، ومن جهة أخرى فإن فهمها لا يتطلب من الجهد والوقت ما لا يُطاق، فإن المطلوب ليس فهم جميع ما يحويه المقال من أفكار كثيرة، وإنما فهمه كطريق، ويكفي في ذلك فهم منطلقات المقال ومحكماته، والمفروض أن صاحب ذلك النمط من المقال سيركز عليها جداً ويمرّ عليها كثيراً فتبين وتتضح للباحث في وقت قصير عادة

والخلاصة: إن فهم دعوة المقال الدّعوي ميسور ولا يحتاج إلى متابعة طويلة، بخلاف المقالات التي تتناول معلومات دينية، أو أفكاراً متجزئة مما لا تحتاجه النفس في حركتها الفطرية نحو الإيقان، وإن كان الذهن قد يستفيد من الاطلاع عليها بطريقة أو أخرى

أراني هنا بحاجة إلى تأكيد وتوضيح ما أشرت إليه آنفاً، فأقول: إن من يبحث عن الهدى لا يهتم بالكلمات التي يسمعها أو يقرأها في مقال إلا بمقدار ما تدلّه على وجه الله عزّ وجلّ حسبما يتصوره صاحب المقال فيسعى إلى بيانه للناس كأبي صاحب مقال ديني، فلا يضر الباحث عن الحق أن يجد بعض عبارات المقال غامضة غير مفهومة، بل وحتى لو وجدها خاطئة، ما لم تؤثر على الركائز التي بها تختلف الآراء والدعوات، وهذا هو الآخر مما يشخصه الباحث نفسه بشكل عام...

بل ولا يركز الباحث كذلك حتى على الأفكار المطروحة في المقال إلا بمقدار ما تساهم في بلورة الطريق الذي يسلكه صاحبه في اتجاه الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر، الأمر الذي لا بدّ وأن يستهدفه صاحب أيّ مقال ديني... فلا يضره في فهم المقال - بل وحتى في اعتقاده في كون المقال مؤشراً إلى الهدى - لو كان قد وجد فيه أفكاراً غامضة غير مفهومة، بل وحتى خاطئة، ما لم يكن لها تأثير على مسار المقال وهداياته...

بناءً على ما ذكرته مما اعتبره قاعدة عامّة للتعامل مع المقالات الدعوية حتى غير الدينية، فلو كنت قد فهمت محاور المقال المعروض هنا لم يضرّك غموض تفاصيله وجهلك بها، وأما لو كنت قد احتملت أن يكون لتلك التفاصيل تأثير على فهمك لهداية

المقال وما يدعو إليه، فكان المتوقع إذن أن لا تصبر عن مناقشة تلك التفاصيل لتفهمها، وأنت تبحث عن الهدى

(٢) قد أشرت في المقال الأوّل المعروض إلى كيفية حصول المعرفة، ومنطلقها ومسارها...، وكنت أتوقع أن يجد في ذلك طالب العلم والمعرفة مجالاً مهماً ومفيداً للبحث! ...

(٣) لقد أشرت آنفاً إلى قاعدة عامّة للتعامل الصالح مع الأحاديث الدعوية، وأظنك تعرف بالتدبر فيها أن مجرد الاستمرار في حضور مجلس يجري فيه مقال عن المعرفة لا ينتج معرفة، وإنما الحضور الذي يكون طلباً للعلم وبالطريقة الصالحة...

(٤) لعلّك لم تقصد ما يشير إليه ظاهر عبارتك حيث جعلت (التولّي) المطلوب شيئاً في عرض الاستمرار في الحضور والاستماع، فإن التولّي كذلك ليس مما يُتكلّف، وإنما هو حبّ طبيعي يحصل في قلب المؤمن تجاه الطريق الذي كان قد عرفه واعتقد أنه هو وجه الله الذي يؤتى منه، فهناك يحصل في قلبه حبّ وتعلق،

أي (ولاء) متشعب متدرج كالشجرة تجاه الأشياء التي تشير إلى ذلك الطريق، وكذلك الأشخاص الذين يجاهدون فيه

وأيضاً يحصل في قلبه (براء) متشعب كذلك ولكن في اتجاه معاكس لاتجاه الولاء، فبما أنه يحب الأمور التي تشير إلى الطريق الذي يعرفه ويعتقده، فهو يبغض أي أمر يتنافى معها، بغضاً متناسباً مع درجة منافاته لها، كما أنه يبغض كل من يدعو إلى طريق آخر مخالف للطريق الذي هو يعرفه ويعتقده

(٥) هذا الكلام هو الصحيح رغم ضعفه التعبيري، ولكن بشيء من التوضيح وهو أن من بدأ بالحصول على المعرفة كان من الطبيعي أن يبدأ في قرارة نفسه بالتصرف وفق المعرفة الحاصلة وحسب درجتها، أي أن قلب الشخص يبدأ تلقائياً بالحب والبغض وفق معرفته، ومن ثم سيقوم بتجسيد مواقفه القلبية في الخارج... وإن لم يكن متنبها حين سلوكه النفسي أو الخارجي إلى أن له معرفة فعلاً وأنه إنما يتصرف وفقها وعلى أساسها، إذ لا يُتوقع أن يكون صاحب المعرفة حين قيامه بعمل متنبها إلى أن ما يقوم به إنما يجسد معرفته، بل المتوقع خلاف ذلك بشرح لا مجال له الآن... وأما علم المرء بأن له معرفة في الأساس، أي كونه واعياً للمعرفة

الحاصلة له وشاهدا عليها فهو مما لا بدّ منه لصاحب المعرفة، فلا تكون معرفة من دونه...

× × × × × × × × × ×

هذا وما دُمْتُ قد تطرقت هنا إلى ما يتعلق بالعمل وارتباطه بالمعرفة فإنني أستغل هذه الفرصة للإشارة إلى ما أراه مفيدا - بل ضروريا - بشأن هذا الموضوع

أبدأ الكلام بما قلته آنفا وهو: أن من بدأ بالحصول على المعرفة كان من الطبيعي أن يبدأ بالتصرف قلبيا وخارجيا وفقها وحسب درجتها الحاصلة... فأقول: بما أنه يفعل كذلك فمن الطبيعي أن يقع في أخطاء فيكتشفها بنفسه ويصححها كلما زادت معرفته التي بطبيعتها نامية متدرجة... ، غير أن الأخطاء التي يتوقع أن يقع فيها المبتدئ خاصة ستكون كثيرة وخطرة، فقد ترتدّ على نفسه فتحبط معرفته الضعيفة... مضافا إلى ما لها من مردود ضار على أصل الطريق وعلى سالكيه أيضا... ، فللتنبيه إلى تلك الأخطاء المتوقعة وما تستتبعها من أضرار، وما يمنعها أقول:

أجل، من الطبيعي أن يتصرف الشخص وفق درجة المعرفة الموجودة لديه، ولا يمكن أن لا يفعل كذلك، أي إنه لا يستطيع الامتناع بنفسه من العمل حسبما يعرف، فلئلا يقع في أخطاء كبيرة

خطرة لا بدّ له من معين يعينه، لا بأن يردعه عن التصرفات الخاطئة قهراً كما يُعمل مع الأطفال والحيوان، وإنما بجعله يمتنع بنفسه عن تصرفات معينة، أو غير معينة وإن كانت تقتضيها معرفته وتدعوه إلى القيام بها... وذلك بالطريقة التالية:

إن الولاية هي العامل الوحيد الذي يستطيع أن يجعل الشخص صاحب المعرفة يمتنع بنفسه وباختياره عن العمل بما يعرف، فمثلاً لو أن شخصاً - ولنرمز إليه بـ (س) - بدأ يعرف وجه الله المتجسد في ولاية الأنبياء والأئمة عليهم السلام، واعتقد خطأ أن شيئاً معيناً يضادّ تلك الولاية، فمن الطبيعي أنه سيتصرف إذن وفق ما يعتقد . وبما أن من صميم المعرفة أيضاً أنه يحب ويتولى من يراه أكثر معرفة من نفسه، فإن (س) سيطيعه إن منعه من ذلك التصرف، بل وحتى لو وجده غير راضٍ من تصرف معين وإن لم يمنع عنه، والمفروض أن معرفته تدفعه تلقائياً ليعرض ما يفعله على من يتولاه كذلك

هذا، ولا يخفى أن طاعة (س) لمن يتولاه كذلك ليست بسبب علمه الإجمالي بأن المطاع أكثر معرفة منه، فلو منعه من شيء تبين خطأ ذلك الشيء، فتعلّمه منه (س)...، فإن هذا يحصل من دون أن يحبه (س) بل وحتى لو كان يبغضه ما دام يثق بفهمه كما هو ملاحظ معروف، وإنما المقصود بالطاعة هي الاتباع الناتج عن

الولاية والحب، وإن كان ذلك الحب ناتجا في الأساس عن اعتقاد
(س) الإجمالي بكون المطاع الأكثر معرفة

× × × × × × × × × ×

بناء على ذلك فلو كان (س) يعايش الولي المعصوم (ع) فإنه
كان يتدخل في تصرفاته بالولاية ويحددها فتقل أخطؤه .. ، وهذا ما
نجدته في روايات كان الأئمة عليهم السلام يمنعون بموجبها المؤمنين
عامة عن التصرف وفق ما كانوا يعرفون كالروايات المذكورة في
بابي الكتمان والتقية من الكافي مثلا، أو روايات خاصة واردة في
أشخاص معينين، كما - ومن جانب آخر - فإن وجود الإمام كان
يمنع حصول الإحباط الموجب للارتداد...

وأما الآن فأیضا من الممكن أن تتعالج هذه المشكلة بالولاية،
وذلك بالشرح الآتي:

إن (س) الذي يفترض أنه بدأ يؤمن بالطريق فمن المفروض
إذن أنه يبدأ يحب الذين يلتقي بهم ويتولاهم ويعتبرهم مشاركين
له في الأمر (الطريق)، ومعنى ذلك أن (س) يرى نفسه مسؤولا
عنهم، فيأمرهم بما يراه نافعا لهم، وينهاهم عما يراه ضارا... ، وفي
المقابل يتوقع منهم أن يتحملوا مسؤوليته ويتولوا أمره فيسدده
ويكونوا عيونه وأدله...

ومن الطبيعي أن يتزامن ظهور هذا التوقع في نفسه مع الإحساس بالذلل تجاههم وحالة الانقياد لهم، فكأنه كان قد بايعهم على الطاعة المطلقة في شؤونه المختلفة حتى قضاياه الشخصية، فإذا أمره بعمل أطاعهم وإن لم يعرف السبب، بل وإن تصورهم مخطئين، ما لم يطلبوا محرماً أو شيئاً ضاراً بدينه... ، وإذا انتقدوه لم يتأذ...

فبذلك سيكون هنالك بين المؤمنين تعاون عفوي وولاية تلقائية متبادلة يتدخلون بموجبها في شؤون بعضهم، تقتل بها أخطاء الفرد الخطرة وإن كان قليل المعرفة بعدد، فإن المؤمن العالم سيجد هذا بوضوح وإن لم يبلغه بصدده نص خاص كرواية الكافي (١/٤٠٣) مثلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَالنَّصِيحَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَاللُّزُومُ لِجَمَاعَتِهِمْ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ مُحِيطَةٌ مِنْ وَرَائِهِمْ...»

هذا، وإنني لا أجد كبير فرق في «حالة الولاء» التي أشرت إليها بين ما يجده (س) - الذي افترضناه مؤمناً ذا معرفة - تجاه أصحابه، وبين ما يجده المؤمن الجاهل تجاه أصحابه، والذي يجعل المؤمن العالم مختلفاً في هذا هو أنه يعرف موضع ولائه، ويعرف أسبابه وآثاره، وفوائده وأخطاره... فهو على بينة من أمره، بخلاف المؤمن الجاهل

فمثلا يعرف (س) - فيما يعرف بهذا الصدد - فيجد أن جميع المؤمنين بمعرفة - بما منهم نفسه - إنما هم متدرجون بلحاظ علمهم وإيمانهم بالطريق، فهو يجد أن كل واحد منهم هو إمام فعلا لمن هو دونه ومأموم لمن فوقه في نفس الوقت، فهو بذلك إنما يؤشر بإمامته لا إلى نفسه بل إلى إمامة من فوقه الذي هو الآخر إنما يشير بدوره إلى إمامة من هو فوقه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المعصوم ومن ثم إلى النبي صلى الله عليه وآله

ويجد (س) ويشهد أن تلك الإمامات المتسلسلة هي السمة البارزة والضرورية لكونهم في طريق واحد، وسيعرف بالتدريج أن تلك السمة التأشيرية لتلك الإمامات هي الضمان لبقاء الطريق مفتوحا لكل من أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا، فإن الإمامة إذا لم تكن كذلك كانت بتراء صادة عن سبيل الله، وممانعة لسير الناس الانسيابي الحرّ إلى الله عزّ وجلّ عبر المعصومين من الأئمة والنبي عليهم السلام

هذا، ومن المهمّ جداً الانتباه إلى أن هذا الذي عبرت عنه بـ (تأشيرية الإمامة) من أهم محاور المعرفة، فمن أراد المعرفة يجب أن يمرّ عليها ويقف عندها طويلا... وإني لم أتوسع فيه هنا لا لضيق المجال فقط، بل وأيضا لأنني أرى أن توسع الكاتب (أو المتحدث) في هذا النوع من مسائل المعرفة وإعلانها إعلانا

عاما سيبتذلها ويُفقدُها أهميتها في نظر القارئ (أو المستمع) الذي يجدها ميسورة وإن لم يسعَ إليها، فمن الطبيعي إذن أن تتحوّل إلى مجرد كلمات وعبارات، ومن ثمت إلى معلومات مشوّهة وأشلاء مبعثرة في ذهنه...

× × × × × × × × × ×

الولاية وطلب العلم

إن الذي ذكرته من الولاية القائمة بين المؤمنين ومعالمها وآثارها إنما كان راجعا إلى العمل، وأما ما يرجع إلى العلم والمعرفة فالمفروض أن لا يخضع فيه طالب المعرفة لأحد، إذ أن العلم لا يحصل بالانقياد والطاعة، وإنما بالتدبّر الحرّ والتعقل، غير أن ملاحظتي لواقع النفوس قد دلّني على أن المؤمن لا يكاد يتحرّر من التأثير بالولاية حتى في طلبه للعلم والمعرفة الدينية وإن كان يتعقل، بل إنه لا يستغني عن استعمال الولاية عليه حتى في التعليم والتعلّم الصالح!، بل إن تجربتي أثبتت لي أن من يطلب العلم بالتعقل الذهني فقط فإنه سوف لا يتدبّر بما يتعقله ولو افترض إمكان حصوله على المعرفة بذلك!، وهو افتراض غير واقعي، بل وغير صحيح...، ولعل إلى هذا يشير ما في الكافي (١٨/٨) عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «...، ومن استغنى بعقله زل...»

وهذه الملاحظة والتجربة أثبتت لي بأن هناك أساساً منطقياً لما هو شائع من (حالة الحذر) الموجودة في نفس المتدين تجاه المقالات الفكرية، إلا ما يثق بصاحبه فلا يخافه على دينه، ولا يفرق في هذا المتدين بالضلال عن المتدين بالهدى، وإن كانا يختلفان فيما كانا قد تدنينا على أساسه...

أجل، إن هذا الحذر المنتشر يعكس حقيقة في طبيعة النفس البشرية وهي أن للولاية تأثيراً على العقيدة أيضاً وإن كانت صالحة مبنية على العلم...، فالمؤمن الصالح من يعرف هذه الحقيقة - فيما يعرف - ويتعامل على أساسها سواء في إمامته للمتقين وولايته عليهم، أم في ائتمامه بهم وتولييه لهم... بشرح وتفصيل لا أرى المجال مناسباً له الآن رغم ما له من أهمية عظمى في المعرفة، وفي الكافي (١/ ١٨٣) عن أبي جعفر عليه السلام أن «... مثله (أي مثل من لا إمام له من الله) كمثل شاة ضلّت عن راعيها وقطيعها... فهجمت ذعرة متحيرة تائهة لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها، فبينما هي كذلك إذا اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها...»

وعلى أي حال أرجو أن يصلح الله أمري وأمرك ويجعل عاقبة أمرنا خيراً ولا يتوفّانا إلا مسلمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وفي الختام أؤكد ما لا أظنه يخفى على عاقل أن ما ذكر في
 هذا المقال ليس إلا مجرد إشارات جدًّا سريعة إلى شيء قليل
 ومتفرق من جوانب المعرفة التي تكاد أن لا تُحصى، فهو لا ينفع
 إلا من تعامل معه كذلك...

محمد علي الباقرى

٢٨ / جمادى الأولى / ١٤١٧

الرسالة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

هناك بعض الأسئلة حول المقالات الموجودة في المسجد... فأختصر بعض ما ذكرته وأذكر السؤال... ذكرت في الموضوع الأول ما معناه « أن تحليل الشخص للمسائل قد يكون صحيحا ولكن لا يدل على معرفة والعكس كذلك أن يخطأ في تحليل بعض المسائل ولكن قد تكون له معرفة... وذكرت في الموضوع الثاني ما معناه « قد يجتمع عند الشخص أفكار صحيحة ذهنية وأخرى باطلة، لا معتقدات صحيحة وغير صحيحة. فالمعتقد هو واحدا صحيحا، وإن كان فيه أفكار خاطئة غير مؤثرة. أو تكون معتقدا واحدا باطلا...

وبناءً على ما ذكرت في الموضوع الثاني « فإن مكان العقيدة في النفس، وهي لا تستطيع تقبل فكرة تتلقاها النفس من الذهن، فلا بد أن لا تناقض الصورة الموحدة المؤلفة من الأفكار. ويجب أن تعانق تلك الأفكار فتذوب في الصورة منها. فلو كانت الفكرة الجديدة ملائمة للأفكار القائمة في النفس بشكل مترابط. فتشتبك كعقيدة موحدة، حاولت التوفيق بينها وتجعلها متناسقتين وذلك بالتصرف بالفكرة الجديدة لتصبح قابلة للذوبان في الصورة

العقائدية القائمة، وإن لم تتمكن رفضت الفكرة الجديدة. إلا إذا كانت آية الرفض قامت النفس بمراجعة الصورة الموحدة فيها وصياغتها لتستطيع احتضان الفكرة الجديدة...

نرى هنا أن ذا المعرفة وصاحب العقيدة الصالحة قد يكون له نتاج من الأفكار الخاطئة، ونرى كذلك أن العقيدة في النفس لا تستطيع تقبل فكرة تتلقاها من الذهن إذا لم توافق أو تتحد مع الصورة الموحدة في النفس

فكيف يمكن لصاحب المعرفة أن تكون له أخطاء فكرية، والعقيدة الصالحة في النفس لا تقبل الفكرة إذا ناقضت هذه العقيدة. فهل الأخطاء الفكرية تختلف عن الأفكار التي لا تتقبلها النفس من الذهن إذا ناقضت العقيدة الموجودة في النفس؟؟؟ كيف أرجو أن توضح؟؟؟

وسؤال آخر:

ذكرت أن ما قد يجتمع عند الشخص هو أفكار ذهنية صحيحة... (وبعده ذكرت) « أن العقيدة في النفس... هي صورة موحدة ومؤلفة من أفكار. فما هو الفرق بين الأفكار الصحيحة وبين العقيدة المؤلفة من الأفكار القائمة في النفس؟؟

وجزاك الله خيراً

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أدري كيف غفلت عما كان المقال المذكور قد ركز عليه من أن العقيدة الصالحة القائمة في النفس ليست هي مجموعة الأفكار الصحيحة، وإنما نتاجها... ، وعلى أي حال فما دمت قد سألت فإنني سأغتنمه فرصة للإشارة إلى ما أراه مفيداً بهذا الصدد إن شاء الله، وإن كنت أستصعب جداً الانطلاق من هذا النمط من الأسئلة للتعرف على مسار النفس الواقعي في حركتها الإيمانية...

× × × × × × × × × ×

إنني أذكرك بما كنت قد كتبتُه عند تحليلي للعمل الاعتقادي الذي أشرت إليه في رسالتك، وإليك فيما يلي نصه:

« ويجب أن لا يخفى أن هذا لم يكن إلا تحليلاً ذهنياً مبسطاً، لا تصويراً حقيقياً لعملية الاحتضان، أو الرفض، أو التوفيق التي تحصل في النفس بتلقائية وبسرعة عظيمة تأبى الرصد والملاحظة في حينها... ، ولا يخفى أيضاً أن ما قد نسبته إلى النفس من العمليات المذكورة قد يقوم بها الذهن للنفس، فإن الفصل بين وظيفتيهما ليس ممكناً لي... »

ليس هذا الذي نقلته هو العامل الوحيد الذي يعيق الفهم الدقيق للحركة العقائدية التي تجري في النفس، فإن هناك عوامل أخرى أيضاً...، فلا يتوقع أنني أعرف كل ما يدور هناك، أو قد أتمكن منه مستقبلاً، ولا أراني بحاجة إلى تلك الدرجة من الفهم، وإنما إلى مقدار أشخص به سلامة مسار النفس في الاعتقاد، خاصة في عهد الضلال الشامل كما هو الآن...

ثم وحتى إذا كانت الصورة كاملة واضحة في ذهني، وأمكنني نقلها إلى غيري كما هي عندي فإنها لا تكون مفهومة له بشكل واضح إلا بأن يقيسها على واقع ما يجري في نفسه... أللهم إلا أن لا يكون ممن يتعامل مع ما نقل إليه كدليل ومشير إلى ما يجري في النفوس، وإنما كمجرد معلومة ذهنية مجتوثة من واقعها...

× × × × × × × × × ×

لتيسير البحث أفترض أن لكل امرئ ذهنًا ونفسًا، وأفترض أن دور النفس إنما هو القبول والرفض، أو المعرفة والإنكار، أو الحب والبغض... من دون أي تحليل وتعليل، وأن دور الذهن هو التدقيق والتحليل والتقييم... ومع ذلك فإني لا أتيقّد بهذا الافتراض، فقد أنسب عمل كل منهما إلى الآخر، بل وقد أستعمل كلمة (القلب) قاصدًا بها (النفس)، وليس ذلك بضائر شيء، بل قد يساهم

في تحرير ذهن القارئ من قيود المصطلحات، وهو مما لا بدّ منه لطالب العلم والباحث عن الحق...، فبناء على ذلك أقول: إن النفس السليمة توحى إلى الذهن أن يبحث عن الهدى الذي تنزع إليه بفطرتها ولا تجده، فيقوم الذهن بالبحث. ومن المعروف أن الذهن سيستعين بالمعلومات التي يتلقاها من الخارج... وقد يكون بعضها خاطئاً مثلاً فتكون الفكرة المستنبطة منه خاطئة

ولتوضيح هذا الأمر أرجع إلى المثال الذي كنت قد ضربته سابقاً حيث افترضت شخصاً اسمه إبراهيم، وأنه يبدأ بحثه مما يتداوله مجتمعه بصدد الله الذي يستهدفه إبراهيم...، فبناء على ذلك أقول: لو سمعهم يقولون مثلاً: « لا وجود لله » من الأساس، فإن ذهنه الذي كان قد تلقى تلك المعلومة سيكوّن منها فكرة بالطريقة التالية: بما أن الناس لا يعتقدون بوجود الله، وبما أنهم عقلاء والمفروض أنهم بحثوا عن الحق، فلم يثبت لهم أنه حق، فالفكرة المستنبطة إذن هي أن (لا وجود لله) أي أن المعلومة قد تحوّلت إلى فكرة! ...

فالذهن يعرض الفكرة المذكورة على النفس حيث من المفروض أنها لا تحبّ هذه الفكرة أي أنها لا تنسجم مع فطرتها فلا تستطيع أن تقبلها وتعتقدها... فيبدأ ذهن إبراهيم بالبحث عن الله الذي تبين

أنه موجود رغم أنف المنكرين... ، فلو وجد مثلاً أن هناك جماعة تقول بوجود إله للكون ولكنه لا يريد من الناس شيئاً بعد أن كان قد خلقهم، فاستنبط الذهن من هذه الملاحظة أيضاً فكرة فحوّلها إلى النفس، فلم تقبلها كذلك لعدم انسجامها مع طبيعة النفس التي تجد أن لله الأمر كما له الخلق، وأنه لم يخلقهم عبثاً...

أجل، إن النفس السليمة ستنكر هذا النمط من الأفكار بوضوح لاصطدامه بأساسيات فطرتها، وفي الحقيقة إن النفس لا تحتاج البحث عن أصل وجود الله فلا تطلب ذلك من الذهن، وكذلك البحث عن أصل صفات الله... كما لا يوجد واقع لما افترضته من مجتمع ينفي وجود الله بالمرّة... ولم أذكر المثاليين إلا للتوضيح والتمهيد لما سأقوله الآن:

إن النفس المستيقنة بالله بفطرتها إنما تحتاج أن يبحث لها الذهن عن وجه الله ودينه لكي تأتية منه وتعبدّه كما كان الله عزّ وجلّ قد عهد إليها عبادته حين خلقها، فلو وجد الذهن في بحثه أن هناك أناساً يعتقدون بأن من دين الله حب الدنيا والاهتمام بها مثلاً، فقام بتجهيز مفهوم على هذا الأساس ونقله إلى النفس، فإن النفس لا ترفض هذا المفهوم وإن كانت سليمة ما دامت في بداية الطريق ولم تتكون لها معرفة بعد، لكن المفروض أنها سوف تبدأ إذن بحب الدنيا طاعةً لله الذي كان قد دعا إليه حسب الفرض،

بعد أن كانت تحبها (أي تشتهيها) بغريزتها

(ملاحظة: إني على الإجمال أرى أن النفس السليمة إنما تتوقع أن لا يدعو الدين إلى اتباع الشهوات...، وهذا يعني أن النفس النازعة إلى الله عز وجل لا تتفاعل مع هذه الدعوة ولا تجد بُغيثها الفطرية في الدين الداعي للشهوات وإن كانت تنجذب إليه بشهوتها...، بل أراها تتطلع إلى أن ينهى الدين عن هوى النفس، ولذلك أجد أنها تتعاطف مع ما يقوم به المتراضون مثلاً وتعظمهم...، في حين أنها لا تعامل متبعي الشهوات كذلك، وإن كانت تشتهي وضعهم...)

رغم أن ملاحظة هذه الحالة - كسائر حالات النفس الطبيعية - مهمة جداً لمعرفة أسس العقيدة ومنطلقاتها الواقعية فإنني لم أجد لي بداً من إهمالها هنا تيسيراً للبحث...

× × × × × × × × × ×

أعود فأقول: وإذا وجد إبراهيم أن هؤلاء الناس يعتقدون كذلك أن من الدين حب الآخرة والاهتمام بها أيضاً فقام ذهنه كذلك بتجهيز هذه الفكرة وتحويلها إلى النفس، فبما أن النفس لا تستطيع أن تحب أكثر من طريق واحد، إذ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ... فإنها ستقوم بتركيبيهما (أو يفعلها الذهن لها) ليصبحا شيئاً

واحداً، بأن تجعل أحدهما أصلاً والثاني تبعاً... وبذلك تبدأ الصورة البدائية للمعرفة بالتكوّن في النفس

ثم لو أن إبراهيم - بسبب أو آخر - قد ركب الآخرة على الدنيا وجعل الأولى تبعاً للثانية، فإن نفسه ستوقع إذن أن تتلقى أفكاراً تؤيد هذا الذي قد فعلته... ، فإن وجد ذهنه في بحثه أن الإمام الذي يفترض كون إبراهيم مؤمناً به قد لبس لباساً غالياً مثلاً، فقام بتحويل النص إلى فكرة بأنه لم يلبس ذلك إلا ويعتبره حسناً... نمت بذلك العقيدة في نفسه بأهمية الدنيا

ولو أنه من جانب آخر وجد أن علياً عليه السلام كان يلبس الخشن من الثياب مثلاً فجهزه ذهنه مفهومًا للنفس، فإنها سترتبك وتقلق فتقوم بالتصرف في المفهوم الجديد (أو يفعله الذهن لها) ليتناسب مع نواة المعرفة المتكونة فيها، بأن تعتبره - مثلاً - حالة استثنائية لا تؤشر إلى وجه الله (أي الدين)، فيستمر تعاملها مع الدين وفق الصورة الأولى...

ولو أنه وجد أن علياً عليه السلام كان يدعو إلى خشونة اللباس في الحياة الدنيا... فإن هذا سيهزّ نفسه ويشكّكها في ما كانت قد تكونت لديها من معرفة بهذا الصدد، فتبدأ بالتعامل مع الصورة الجديدة المغايرة الآخذة بالظهور...

ثم إن وجد أن عليًا كان يدعو أيضًا إلى جشوبة الطعام وإلى التواضع في المسكن... فإن تلك الصورة الجديدة ستستقر في نفسه وتترسخ وتتشعب فتكون شجرة، خصوصًا إذا انتبه الذهن إلى ما يعملُه أئمة الضلال، وأخذ يتحرى خطواتهم وأثرها على الإيمان بالله واليوم الآخر...

مزید من التوضیح

أحاول أن آتي الموضوع من زاوية أخرى فأقول: بما أن من طبيعة النفس أنها تنزع إلى اليقين فإنها تتطلع إلى ما يسند معرفتها الحاصلة لتزداد يقينًا، فتوحي إلى الذهن أن يبحث عما يؤيد ويرسخ المعرفة الموجودة، وبنفس السبب تكون أكثر تهيئًا لتقبل المفاهيم المساندة لمعرفتها أكثر من المفاهيم المنافية لها

وبما أن الذهن ليس معصوما فيما يقوم به من استنباط المفاهيم فقد يتسرع ويستنبط فكرة خاطئة فيحولها إلى النفس فتقبلها لكونها مناسبة بإجمالها لشجرة المعرفة المتكوّنة فيها، والمفروض أن النفس لا تتعامل مع الأفكار كأشياء متجزئة، وإنما مع الصورة المتكوّنة من الأفكار المنصهرة في بعضها وبنسب معينة من دون أن تلتفت إلى تلك النسب ومقاديرها، حيث أنها لا تعرف الصورة إلا بإجمالها، أي أنها لا تستطيع أن تفرّق بين صورة وأخرى في الرفض والقبول إلا إذا كانتا مختلفتين تماما

بل إن القلب السليم لا يعرف إلا (طريقين) بما لكل واحد من
معالم متكوّنة من خصائص متداخلة تفرق بينهما حيث يقول الله
عزّ وجلّ: «... وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» ... ، وأما التفاصيل التي لا تؤثر
على اتجاه الطريق ومعالمه فلا يعرفها القلب بنفسه مباشرة وإن كان
سليماً، وعلى ذلك فقد يخطئ فيقبل ما لا يستحق القبول، ولا
يخرج بذلك من الهدى ما لم يكن قد استهدف الخطأ وتعمّده
ووجه وجهه إليه وانشرح له، فإن هذا الخطأ مما يغفره الله إن شاء،
كما في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» ، وقوله
تعالى: «... وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ
قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» ، وفي الكافي (٢/ ٤٦٤) عن أبي
عبد الله عليه السلام أنه قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً
ما يقول في خطبته: «يا أيّها الناس دينكم دينكم فإن السيئة فيه خير
من الحسنه في غيره، والسيئة فيه تُغفر والحسنه في غيره لا تُقبل»

× × × × × × × × ×

ولأضرب للنفس في هذا مثلاً ببصر الإنسان حيث تستطيع أن
تشخص اللون الأبيض وتفرق بينه وبين الألوان الأخرى، ولا يضر
هذا التشخيص إذا كان مع البياض شيء من لون آخر ما لم يتحوّل
بذلك إلى لون مغاير للأبيض بصورة ملحوظة للعين المجردة،

وذلك لأن العين المجردة لا تستطيع أن تشخص اللون الدخيل المختلط بالبياض ما لم يبلغ درجة كبيرة... ، كذلك النفس ففي حين أنها تعرف (نجد الهدى) وتفرق بينه وبين (نجد الضلال) فهي لا تستطيع أن تعرف بنفسها جميع المسائل التي يتكوّن منها الهدى أو الضلال، فقد يتسرب إليها بعض المفاهيم المتناسبة لنهج الضلال فتمتزج بالمفاهيم المتكونة منها الهدى فتكون النفس مهتدية بذلك، وكذلك العكس... إلا أن تكون تلك الأفكار من النمط الذي يقلب الطريق ويحوّله من الهدى إلى الضلال، أو من الضلال إلى الهدى...

فمثلاً إن وجد الذهن في القرآن الكريم أن الله بعث النبي صلّى الله عليه وآله ليدعو الناس إلى عبادة الله وحده، فحوّله إلى النفس فإن هذا مما تعرفه النفس مسبقاً بفطرتها، ثم وجد فيه أن الله قد شرّع القتال لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، فوجد أن الفتنة تنافي دين الله، ثم وجد في الكتاب أيضاً أن المال فتنة، ووجد باستقراءه للنفوس أن المال يستضعفها فعلاً ويلهيها عن ذكر الله عزّ وجلّ والقيام بالقسط، فحوّل هذا المفهوم إلى النفس فتبدأ النفس بذلك تكره المال الذي ينافي دين الله

ولو أنه وجد - مثلاً - في الكافي (٢/ ٢٦٥) عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: « قال أمير المؤمنين عليه السلام: الفقر أزين

للمؤمن من العذار على خدّ الفرس « فاستنبط منه ذهنه مفهوما وهو أن المجتمع المؤمن الذي يسعى إليه الإسلام لا بدّ وأن يكون فقيرا لا يملك فيه أحد مالا... ، فحوّله إلى نفسه، فتنمو هنالك معرفة في اتجاه أن أئمة الدين إنما كانوا يسعون لئلا يكون للناس مال...

ولنفرض أن النفس ظلت سليمة فلم تتعصّب لتلمي على الذهن بأن يخلق ملفّ البحث ويجادل عمّا فيها، فوجد الذهن في بحثه بهذا الصدد أن في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله من كان يملك المال، ووجد أن هناك كثيرا من التشريعات مبنية على افتراض وجود المال في أيدي المؤمنين، فيتبين له من كل ذلك في الأخير وبالتدريج أن المفهوم السابق كان مستعجلا وخاطئا...

وبتبع ذلك الاكتشاف المتدرج فإن النفس المتجاوبة مع الذهن تبدأ تشك فيما كانت قد اعتقدته، ثم تتأكد من خطئه فتتخلّى عنه... ، غير أن هذا التغيّر في الصورة المتكوّنة في النفس رغم كبره لا يقضي على كل البناء المعرفي القائم فيها، فيظلّ المال هناك فتنة كما كان، والذي انهار هو طريقة التعامل معه... ، إلا أن يجد الذهن نصوصا دينية تدعو إلى الاهتمام بالمال والرغبة إليه، فهذا سيصطدم بأصل كون المال فتنة، بل سيهزّ شجرة المعرفة التي من أساسياتها حقارة الدنيا وكونها متاعا...

إن هذا الذي ذكرتُ كان مثالا لخطأ كبير مؤثر على المعرفة، وإليك مثال واقعي لنمط آخر من الخطأ الذي يكون تأثيره أقلّ:

رجل كان يعلم أن ما رواه الكافي (٢/ ٢٦٢) مثلا من قيام النبي صَلَّى الله عليه وآله بتحقيق المال والدنيا لم يكن حالة استثنائية عابرة، فقد كان ذلك من أهمّ أعماله كوليّ للمؤمنين...، وكان يعتقد أن تواضعه (ص) في المطعم والملبس مثلا كان يؤدي - فيما يؤدي - نفس الدور أيضا، أي تحقيق المال والدنيا في النفوس، كما في الكافي (١/ ٤١٠) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن الله جعلني إماما لخلقه، ففرض عليّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يُطغي الغني غناه»...

وكان يفكر أن يكون كذلك مطعم وملبس جميع الأئمة عليهم السلام ما داموا أئمة...، غير أنه وجدهم يختلفون في ملابسهم عن النبي وأمير المؤمنين عليهما السلام، حيث كانت ملابسهم متعارفة رغم كون العرف مسايراً للدنيا ومزيّناً لها...، ثم عرف بالبحث أن ذلك لأنهم لم يكونوا قائمين مبسوطي الأيدي كما كان النبي صَلَّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في مدة ولايته، فلم يكونوا يستطيعون تحقيق الدنيا للناس بهذا النمط

من الأعمال، بل إنما كان يرتدّ عليهم فيهم فيهم في الأنظار بدل أن يساهم في تحطيم الدنيا وأهلها في نفوس الناس...

إذن كانت تلك الفكرة التي كان يعتقدونها الرجل خاطئة، غير أنها حيث لم تكن الأساس في اعتقاده بأن من أصول ولاية الإمام تحقير الدنيا وزينتها في النفوس، وذلك ضمن شجرة المعرفة المتشعبة المترابطة... فخطأ تلك الفكرة لم يكن يؤثر على صحة عقيدته ومساها بهذا الصدد...

× × × × × × × × × ×

وبهذا الصدد أقول أيضاً: إنني أجد أن معرفتي الدينية تتسع وتعمق باستمرار، وليس ذلك إلاّ بأنني لا أكاد أتوقف من التفكير في مسائل المعرفة، فأستنبط فكرة جديدة، وأكتشف خطأ في فكرة موجودة أو نقصاً فيها فأصحح الخطأ وأصلح الناقص...، فتحصل بذلك حركة مستمرة في أفكاري، وبتبعتها يحصل نموّ مستمر (لا تغيّر وتبدّل) في عقيدتي بشكل عام رغم ما قد يكون هناك توقف أو تراجع قليل أو كبير في جانب..

إنني لا أراني في هذا بدعاً من الناس واستثناءً، فإني أرى أن ذلك هو ديدن جميع الذين يعتقدون بتعقّل ولا يفكرون إلاّ ليعرفوا الأمور التي إنما يحتاجونها لأجل الاعتقاد... فإني أرى أن العقيدة

الصالحة لا تكون إلا كذلك، أي كشجرة طيبة، أو كجسد حيٍّ إنما تتجدد خلاياه باستمرار فيظلّ بذلك حيًّا ناميًا، وكما أن التبدل المستمرّ في الخلايا لا يغيّر هوية الجسد الخاصّة ولا يقلبها إلى هوية أخرى، فكذلك تبدل الأفكار وتجدها لا يغيّر العقيدة إذا كانت طيبة مبنية على أساس صالح، وإنما يُبقيها حيّة نامية لتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها...

أجل، إن هذا النموّ الاعتقادي المستمرّ للشخص المؤمن إنما يعكس - فيما يعكس - نموًّا في علمه، وزيادة العلم لا تكون إلا بتغير في الأفكار سواء أكان التغيّر عبارة عن تبدل فكرة بفكرة أخرى مماثلة، أم كان عبارة عن تطوّر فكرة وتكاملها... فإن هذا أيضا تحوّل من فكر خاطئ إلى ما هو صحيح، فإن الفكرة الناقصة ليست إلا فكرة خاطئة إذا قيسَت بالكامل...

... كذلك يزداد العالم علمًا، ويزداد الذين آمنوا إيمانًا، وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى... ، ويقول الله عزّ وجلّ: « إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ » ...

هذا وأكتفي بهذا المقدار، وإن كان الموضوع شجونًا يتطلب طويلا من الحديث وكثيرًا من الشرح... والحمد لله ربّ العالمين وأرجو أن يصلح الله أمري وأمرك ويجعل عاقبة أمرنا خيرًا ولا

يتوفّانا إلا مسلمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

× × × × × × × × ×

وفي الختام أوكد ما لا أظنه يخفى على عاقل أن ما ذكر في هذا المقال ليس إلا مجرد إشارات جدّا سريعة إلى شيء قليل ومتفرق من جوانب المعرفة التي تكاد أن لا تُحصى، فهو لا ينفع إلا من تعامل معه كذلك...

هذا وإنني أعلن استعدادي للتداول حول ما ذكر في هذا المقال، فأرجو ممن يرغب في ذلك أن يكتب ما يثير المقال في نفسه من تساؤلات... فيناولنيه، أو يضعه في الصندوق، فإن احتملت أن التساؤل المطروح قد يعني حاجة السائل الصادقة، وتوقعت في التعليق عليه وإعلانه نفعا لرواد المسجد، فسوف أعلق عليه إن شاء الله وأعلنه كما فعلت بهذه الرسالة، ولا يمنعني عن ذلك بساطة السؤال بل وحتى لو كان يبدو تافها مثلا، ما لم يكن متكلفا... ومن الطبيعي أنني قد أخطئ في التمييز بين السؤال الصادق والمتكلف، فلا يسبب إهمالي لسؤال امرئ إحباطا له أو تأذيا...

محمد علي باقري

٢٠ / جمادى الثانية / ١٤١٧

